



زاد الداعية

## غباء الظالمين



الأحد 22 أغسطس 2021 م

كلما جاء شهر الله المحرم، أحذني ضعيفاً أمام رغبة متكررة، في تخيل هذه الحلقة المميزة من حلقات المصراع الأزلي بين الحق والباطل، والتلذذ بذلك المشهد الرائع من مشاهد النصر المبين، نصر الحق الأعزل الضعيف، نصر الحق الذي أيقن أهله أنهم مدركون منهزمون، وأنها النهاية، نهايتهم هم، نهاية الحق، وليس نهاية الطاغية، وكل جنوده وأتباعه ومؤيديه، نهاية الباطل وزواله من الأرض.

أحب هذه الأيام، وأحب هذه الذكرى؛ لأنها تجدد الإيمان، وتتصوب الاعتقاد، وتصحح المفاهيم، وتعطى لكل أحد قدره ومكانه الذي وضعه الله فيه، لا الذي وضعه لنفسه بغيره متكبر جبار أو جهل جاهم، أو يأس يائس، أو غيره مما يغمى الحقيقة عن عيون القلوب، ويصرف الآيات عنهم لا يتذيرها. نعم أحب هذا اليوم، وأحب كل أيام الله، وما أكثرها! حين تأتي النهايات، ويتمايز الناس، وتبين للجميع لمن القوة ولمن الغلبة ولمن الكلمة الأخيرة، الكلمة الباقية الخالدة، حين يأتي وقت الإعلان العام، حين يأتي وقت تكشف الحقائق أمام الجميع، وقت ظهور حكمة الله من تأخير أقداره لليوم الذي قدره.

أحب هلاك الظالمين والطغاة، وأطرب لسماع تلك الأخبار، وأتبعها في مصادرها، وأسعى في تفاصيلها وحركتها، وأستمتع بمحاجطة بد الله، تعمل فيهم حتى تبدهم وتبعد ممالكتهم، أحب رؤية نصر الله للحق وأهله، وأحب مدارسة ذلك مع الصالحين، وتعلم الدروس، وتطبيق ذلك على واقعنا الذي نعيشه، في يومنا الذي نحياه، وصراعتنا مع كل ظلم.

إنه يوم هلاك طاغيةٍ متكبر جبار، ما دار في خلده ولا في خلد مؤيديه يوماً أنه مهزوم وأنهم مهزومون، ولا كان هو ولا كانوا هم في شئٍ من قوتهم وصولتهم وتغلبهم واستعلائهم، ما كانوا في شك أنه باقٍ، وأنهم باقون، وأن قوتهم باقية، وأن قدرتهم باقية، وأن بطيشهم باقٍ، ما حسوا لهذا اليوم حساباً، فلم يكن ثمة ما يدعوه لهذا الحساب، ففرعون وهامان وقارون والجنود والخزائن والهيبة والسلطان والدولة والتباح، كل ذلك قوة في قوة في قوة، فمادة القوة متوفرة، وعناصرها سالمة آمنة متتجدة، فيما الذي يجعل المتكبرين المستبددين الظالمين يعقلون ويتفكرون، إن أصل صعفهم وسبب هلاكهم في أسباب قوتهم، وهذا استدراج الله لأعدائه، وتلك بعض وسائل الحق لاستئصال الباطل، أن يندفع الظالمون بأنفسهم إلى حتفهم.

وهذا ما فعله فرعون، لقد قرر إبادةبني إسرائيل، ولما خرجوا منه هاربين، تبعهم جنوده بغياً وعدوا، تبعهم بكل جيشه وعتاده وقوته وجاهريته، فلما أوسك أن يصل جيشه إليهم، وتراءى الجموع قال أصحاب موسى إنا

لمدركون، بمنطق القوى المادية والحسابات البشرية، لكن إيمان المؤمنين ويقينهم في وعد ربهم، وفي حتمية نصرهم على أعدائهم، أطلق لسان النبي الكريم بصوت هادر ما زالت البشرية كلها تستمع إليه في اعجاب وتقدير لهذا الإيمان الصادق والثقة المطلقة، (قال كلا، إن معى ربي سيهدين).

إلى هذه النقطة فالمشهد مكرور معلوم لدينا، إنه نصر الله وقدره الذي لا يرد، إنها السنة الكونية التي تتناغم مع كل حلقة صراع بين الحق والباطل، لكن الجديد والمثير في هذه الحلقة، والمختلف عن غيرها من حلقات الصراع بين الحق والباطل هو غباء أهل الباطل المطلق، وغورهم الذي يعم العيون عن بصر كل شيء وأى شيء، وهذا هو الدرس الذي يجذبني كل مرة أطالع فيها هذه القصة وتلك المعجزة،

إن فرعون قد خرج في حيشه يريد بنى إسرائيل، يريد هلاكهم أو إعادتهم أو تعذيبهم،وها هم أمامه، وليس أمامهم طريق ولا حيلة للهرب، فالبحر أمامهم، وهو لا يملكون وسيلة بحرية للتحرك من خالله، وهو جاهز بحيشه للانقضاض عليهم، إذا انتهى الأمر، والنصر محسوم، ولكن جد في الموقف الميداني جديد، إن بنى إسرائيل يهربون إلى البر الشرقي، قد انفلق لهم البحر، فصار كل فرق كالجبل العظيم، جبلان من الماء لا يتحركان حرفة الماء الطبيعية، بل يقف كل جبل على جانب، وبين الجبلين صار قاع البحر طریقاً يابسا يصلح لسير العدد الكبير من الناس، وهذا هم بنو إسرائيل، يسيرون كلهم إلى الجانب الآخر، يتحركون لأنهم يمشون على طريق بري طبيعي.

وهنا، وهنا فقط تكمن المعجزة الأكبر من معجزة شق البحر فيرأي! لأن أي إنسان طبعي لابد أن يوقفه هذا الحدث، لابد أن يشير في نفسه شيئاً، شيئاً من الخوف، أو شيئاً من الإيمان، أو شيئاً من العقل، فليس للأمر علاقة بالبشر وقدراتهم، ليس للأمر علاقة بخطط ونكتيكـات، وليس له علاقة بقوى وقدرات، إنه أمر أكبر من أن يتجاوزه العقل، أو أن تتجاهله العين، إنه أمر عجيب عجيب، يراه المؤمنون معجزة ليست غريبة على قدرة الله العظيمة، ويراه غيرهم أمراً محيراً ربما لا تفسير له عندهم، ولكن كيف رأه فرعون؟ وكيف رأه جنوده؟! حقيقة، لا إجابة لدىـ، لكنهم وبـا للعجب! فرروا أن يتموا مهمتهم ويتبعوا مطاردتهم، وماذا عن البحر الذي انشق أمام أعينكم، ماذا عن هذا الطريق الذي لم ير الشمس من قبل، كيف تحول في لحظة إلى طريق معبـد جاهز للسير بل للعدو السريع؟ ماذا عن الماء الذي جمد على الجانبين، فلم يعد له سيلانـه المعهود؟ ماذا عن كل تلك الخوارق؟ ماذا حرـكت فيكم؟ وكيف رأـيتـوها؟ ولـيتـ شـعرـى! إنه الغباء الذي لا مـثـيلـ له، غباء أصحابـ البـاطـلـ الذى يـدفعـهمـ لهـلاـكـهـمـ بـقـدـرـاتـهـمـ، وـبـزـينـ لهـمـ ماـ فـيـهـ زـوـالـهـ وـهـمـ لاـ يـبـصـرـونـ وـلـاـ يـشـعـرـونـ، لـفـدـ أـرـادـواـ أـنـ يـتـمـواـ المـهـمـ، فـلـمـ تـكـنـ إـلـاـ مـهـمـةـ هـلاـكـهـمـ وـغـرـقـهـمـ أـجـمـعـينـ، وـزـوـالـ دـوـلـهـمـ مـنـ أـسـاسـهـاـ، وـانـحـسـارـ الـبـاطـلـ عـنـ هـذـهـ الدـنـيـاـ.

أي يوم من أيام الله هذا؟ وأية سكينة تملأ القلوب! وأية فرحة تعمـرـ الأرواحـ!ـ أيـ أـمـلـ وـنـفـقـةـ وـاـطـمـئـنـانـ،ـ فـىـ قـدـرـةـ اللهـ!ـ فـىـ عـظـمـةـ اللهـ،ـ فـىـ تـدـبـرـ اللهـ،ـ فـىـ حـكـمـةـ اللهـ،ـ فـىـ حـبـ اللهـ لـأـوـلـيـائـهـ،ـ فـىـ بـغـضـ اللهـ لـأـعـدـائـهـ،ـ فـىـ اـسـتـدـرـاجـ اللهـ لـلـطـالـمـيـنـ،ـ فـىـ عـدـلـ اللهـ فـىـ هـلاـكـهـمـ،ـ فـىـ إـذـالـهـمـ،ـ فـىـ إـقـامـةـ الـحـجـةـ عـلـيـهـمـ،ـ فـىـ جـعـلـهـمـ عـبـرـةـ لـمـ يـعـتـبرـ!

إنه يوم المستضعفـينـ،ـ الـذـيـنـ كـانـواـ عـاجـزـينـ عـنـ أـىـ شـئـ وـعـنـ كـلـ شـئـ،ـ يـذـبحـ الـظـالـمـ أـبـنـاءـهـمـ وـيـسـتـحـيـ نـسـاءـهـمـ،ـ يـسـخـرـهـمـ فـىـ الـحـقـيرـ مـنـ الـأـعـمـالـ،ـ يـسـلـهـمـ مـاـ يـمـلـكـهـمـ،ـ وـيـكـلـفـهـمـ مـاـ لـاـ يـطـلـقـونـ،ـ وـهـمـ كـانـواـ بـإـزـاءـ كـلـ هـذـاـ الـإـجـرامـ عـاجـزـينـ عـنـ رـدـ الـظـلـمـ،ـ عـاجـزـينـ عـنـ الـانتـصـافـ،ـ عـاجـزـينـ عـنـ الـحـاقـ أـدـنـىـ الـأـذـىـ بـمـنـ يـؤـدـيـهـمـ كـلـ الـأـذـىـ،ـ عـاجـزـينـ حـتـىـ عـنـ الشـكـوـيـ وـالـكـلـامـ!ـ عـاجـزـينـ حـتـىـ عـنـ الـهـرـوبـ مـنـ الـجـيـمـ.

إنه يوم تحقيق الوعـدـ الـرـبـانـيـ الـعـظـيمـ بـنـصـرـهـمـ،ـ (ـوـنـرـيدـ أـنـ نـمـنـ عـلـىـ الـدـيـنـ اـسـتـضـعـفـوـاـ فـىـ الـأـرـضـ وـنـجـعـلـهـمـ أـنـمـةـ وـنـجـعـلـهـمـ الـوـارـثـيـنـ،ـ وـنـمـكـنـ لـهـمـ فـىـ الـأـرـضـ وـنـرـىـ فـرـعـونـ وـهـامـانـ وـجـنـودـهـمـ مـنـهـمـ مـاـ كـانـواـ يـحـذـرـونـ)ـ.

إنه يوم انـكـسـارـ الـطـالـمـيـنـ الـمـسـتـدـيـنـ الـمـسـكـبـرـيـنـ،ـ الـذـيـنـ طـنـواـ أـنـ مـاـ يـمـلـكـهـمـ مـنـ أـسـبـابـ الـقـوـةـ الـمـادـيـةـ تـمـعـنـهـمـ مـنـ مـصـبـرـهـمـ،ـ وـتـصـدـ عـنـهـمـ أـحـكـامـ الـعـدـالـةـ،ـ طـنـواـ أـنـ جـنـودـهـمـ مـدـرـيـةـ فـىـ جـيـوشـهـمـ الـمـنـظـمـةـ،ـ وـأـسـلـحـتـهـمـ الـوـفـيـرةـ الـجـاهـزةـ لـتـكـونـ آـلـهـةـ الـقـتـلـ الـرـهـيـةـ الـمـحـترـفـةـ،ـ وـسـحـرـتـهـمـ الـذـيـنـ يـلـبـسـونـ كـلـ باـطـلـ وـزـورـ ثـوـبـ الـحـقـ،ـ يـكـذـبـونـ كـمـاـ يـتـنـفـسـونـ،ـ وـيـبـدـعـونـ فـىـ حـيـلـهـمـ وـيـجـتـهـدـونـ،ـ يـبـغـونـ بـذـلـكـ خـدـاعـ النـاسـ وـاسـتـمـالـتـهـمـ لـمـعـسـكـرـ الـبـاطـلـ الـذـيـ يـحـرـسـونـ،ـ وـيـظـنـونـ أـنـ أـمـوـالـهـمـ وـكـنـوزـهـمـ الـذـيـ يـنـفـقـونـهـاـ لـتـبـثـيـتـ مـلـكـهـمـ وـشـرـاءـ الـذـمـمـ وـالـلـوـلـاـتـ،ـ وـشـرـاءـ الـصـمـائـرـ وـالـمـوـاـقـفــ.ـ طـنـواـ كـلـ ذـلـكـ أـقـوـيـ مـنـ اللهـ!!!ـ

إنه منـطـقـ الـظـالـمـ الـمـسـتـبـدـ فـىـ كـلـ زـمانـ وـمـكـانـ،ـ إـنـهـ نـهـاـيـهـمـ جـمـيـعـاـ بـلـ مـخـافـةـ وـلـ اـسـتـثنـاءـ،ـ يـخـتـلـفـ شـكـلـ الـهـرـيمـ وـطـرـيـقـ الـإـدـلـالـ،ـ (ـفـكـلـاـ أـخـذـنـاـ بـذـنـيـهـ مـنـ أـرـسـلـنـاـ عـلـيـهـ حـاـصـيـاـ وـمـنـهـمـ مـنـ أـخـذـنـهـ لـصـيـحـةـ وـمـنـهـمـ مـنـ حـسـفـنـاـ بـهـ لـأـرـضـ وـمـنـهـمـ مـنـ أـغـرـقـنـاـ وـمـاـ كـانـ اللـهـ لـيـتـلـمـهـمـ وـلـكـنـ كـانـوـاـ أـنـفـسـهـمـ يـتـلـمـوـنـ)ـ فـكـلـهـمـ مـجـرـمـونـ وـكـلـهـمـ هـالـكـونـ،ـ وـكـلـهـمـ عـنـ رـبـكـ مـحـضـرـونـ.

فـمـتـ يـقـيـقـ الـمـؤـمـنـونـ؟ـ وـمـتـ نـطـمـئـنـ لـمـوـعـدـ اللهـ؟ـ أـوـ لـمـ تـكـنـ آـيـةـ فـىـ هـلاـكـ فـرـعـونـ؟ـ حـيـنـ نـصـومـ كـمـاـ عـلـمـنـاـ رـسـولـنـاـ

الكرم في يوم هلاكه وإذلاله، فكيف يتسرّب الأمل من بين أيدينا، أين يذهب يقيننا بالله؟ كيف لا نرى هلاك كل فرعون، في كل زمان ومكان، مهما كان اسمه وشكله ولغته ومكره؟ ثم، كيف لا نردد مع نبى الله موسى: (كلا! إن معى ربي سبعين) .

